تلول فروة وبنات الشيخ وتل الأسمر ما زالت تتعرض للنبش

700 لص استباحوا موقعي جوخة وأم العقارب الاثريين بعد الحرب

الناصرية: حسين كريم العامل

لايمكن تقدير الضرر الذي لحق بالواقع الأثرية في الناصرية نتيجة عمليات السلب والنهب. إذ فقدت رقعة أثرية تضم نصوصاً إدارية وقانونية وعلمية مكتوبة بالخط المسماري لم تدرس بعد، ولم توثق أو تصور. فضلاً عن ذلك فإن القطع الأثرية المنهوبة لا يمكن التعرف عليها إذ إنها، على العكس من آثار المتحف العراقي، غير موثقة. قال ذلك محدثي المفتش الأثاري عبد الأمير الحمداني حين سألته عن تقديرته لحجم الأضرار وأضاف:

موقع أثري

- في هذه المدينة أكثر من موقع أثري لم يجر التنقيب العلمي للنظام سوى عن اثني عشر موقعاً منها، وهذا بحد ذاته يضاعف الخسارة ويجعل الكارثة أكبر بعد استباحة المواقع الأثارية من قبل اللصوص وتجار الآثار، إذ أنهم في بحثهم عن الآثار دمروا وخربوا جدران المعابد والقصور والوحدات السكنية، وهشموا العديد من الأواني والجرار الفخارية، وأحدثوا الفجوات وحفروا في الطبقات الحضارية للموقع مما عقد عملية توثيق تلك المواقع ودراستها، بسبب المفارقات التي تركوها بالمدونات نتيجة السرقة والتخريب.

ويتحدث منقب أثاري هو السيد أبو ذر راضي سعدون أهم المواقع التي تعرضت للنهب فيقول: إن أكثر المواقع الأثرية تعرضاً للنهب والتخريب في مدينة الناصرية هما موقعا (جوخة وأم العقارب) القريبان من قضاء الرفاعي. حيث تعرضا للنبش العشوائي والتهشيم وكسر الفخاريات من أوان وجرار. فضلاً عن هدم المعبد السومري في الزقورة في موقع جوخة. ويضيف:

- في أثناء الحرب ومع ظهور أول بوادر عمليات النهب والتخريب قمنا في مفتشية ذي قار بتحديد المواقع التي تتعرض للسرقات، وقمنا بنقل الأثرية لغرض حمايتها من قبل المنتسبين، فكانت مهمتي محصورة بين حدود ناحية الغراف وحدود ناحية الفجر. أما السيد عبد الأمير الحمداني فقد تركزت مهمته على المناطق المحصورة بين الناصرية وقبصرة مرور أبالجبايش، حيث كانت المنطقة المحصورة ما بين الشطرة والفجر من المناطق التي يكثر فيها السراق واللصوص وتجار الآثار، وتتركز فيها مواقع جوخة وأم العقارب وشميت وبزيخ. وهذه المناطق تعرضت إلى هجمة شرسة لكونها مواقع معروفة بالحضارة السومرية، وسبق لبعثات التنقيب من هيئة الآثار والتراث أن عملت بها قبل الحرب، واستخرجت منها العديد من اللقى واستخدمت عدداً من أبناء هذه المنطقة في العمل. وهذه المنطقة عموماً تشتهر باللقى الأثرية السومرية ويكثر فيها تجار الآثار والهربون أيضاً.

دوريات مشتركة

وبعد انتهاء العمليات الحربية يذكر السيد أبو ذر بأنه جرى بالتنسيق مع قوات التحالف تحديد المواقع على الخرائط التحلية وقوات (المارينز) وبدأنا العمل. وحين وصلنا إلى موقع جوخة وأم العقارب وجدنا أكثر من شخص يقومون بالنبش العشوائي والحفر لسرقة الآثار. وتم احتجاز أكثر من شخص لفترة بسيطة وأطلق سراحهم بعد أن القيت عليهم محاضرة لتوعيتهم بأهمية الآثار، ودعوتهم للمحافظة عليها. وقد تمت في تلك الفترة مصادرة أكثر من قطعة أثرية سلمت فيما بعد إلى المتحف العراقي وجرى استدعاء الحراس وتسيير الدوريات صباحاً ومساءً لسد الفراغ الأمني. وقد تعززت قوتنا وصار عملنا أكثر تنظيماً بعد وصول الفريق الدولي للحماية الذي ساهم بشكل مباشر في حماية المواقع، ونصب الكمائن في المناطق المستهدفة، وتم اعتقال العديد من السراق والتجاوزين. وهناك حالياً- دعاوى في مراكز الشرطة تشمل أكثر من شخصاً حكم على منهم بالحبس لمدة ستة أشهر.

السيد باسم ثامر مانع أحد الكلفين بحماية الآثار في موقع جوخة يصف لنا ما جرى في تلك الأيام قائلاً:

- بعد سقوط النظام السابق هاجمت العشائر القريبة من التل (موقع جوخة) وعسكر عدد من اللصوص الذين قدموا من المحافظات الأخرى مثل الديوانية والحلة والنجف في الموقع ونصبوا الخيام، وقد كانت أعدادهم كبيرة جداً تفوق الشخص وصار لهم كراج خاص بالسيارات. وهؤلاء جميعاً استباحوا التل وبدأوا بالحفر وقد نهبوا قطعاً أثرية كثيرة وأصبحت أعداد منهم في زمرة (أغنياء الحواسم) ولم تتم السيطرة على نشاط اللصوص إلا بعد تسيير الدوريات التي بدأت عملها في // واستطاعت أن تلقي القبض على عدد كبير منهم، وقد تعرضت إلى التي القي القبض على عدد من أبنائهم وطلبوا مني ترك نقطة الحراسة. وأضاف: عموماً الوضع الأمني في موقع جوخة مستقر الآن ولكن هناك عدد من التلال مثل فروة وبنات الشيخ وتل الأسمر، ما زالت تتعرض لتجاوزات اللصوص.

تجار أجانب ومحليون

وأشار السيد باسم إلى تجار الآثار قائلاً:

- إن سراق الآثار كانوا يتعاملون مع تجار محليين يشترون منهم القطع الأثرية بأسعار بخسة بسبب جهلهم بقيمتها التاريخية. وهؤلاء التجار كانوا يتعاملون بدورهم مع الهربين والتجار الأجانب الذين يقومون بتهريب هذه الآثار إلى الخارج وبيعها بالعملة الصعبة. ويتمركز تجار المحليين في مناطق الرفاعي والفجر والقلعة.

ويقول السيد عبد الأمير الحمداني:

- إن ما كان يقوم به إزلام النظام السابق من عمليات سرقة ونهب للآثار في المنطقة وتهريبها إلى الخارج فتح أعين اللصوص على هذه الثروة الوطنية وجاءت عمليات الأخيرة استكمالاً للنهب السابق.

حماية الآثار

ويكمل السيد عبد الأمير حديثه قائلاً:

- إن معظم اللصوص محترفون ومتمرسون منذ سنوات عديدة في سرقة وتهريب الآثار. وإن الحل الأمثل باستخدام بعثات وطنية وأجنبية لإجراء التنقيب العلمي في العديد من المواقع المهمة والمستهدفة.

ويقول السيد باسم ثامر:

- إن حماية موقع الآثار تتطلب تحريات وإنشاء مراكز لجمع المعلومات عن اللصوص وتجار الآثار وتعقبهم والحد من نشاطاتهم إضافة إلى تزويد الحراس بالأسلحة وأجهزة الاتصال الحديثة والسيارات.

أما السيد أبو ذر راضي فقد أشار بخطة السفير (اوزيو) منسق الشؤون الثقافية في وزارة الثقافة التي تتضمن تدريب الحراس على حماية المواقع وتزويدهم بالأسلحة وأجهزة الاتصال الحديثة واتخاذها في حماية المواقع الأثرية في ذي قار نموذجاً لحماية بقية المواقع في المحافظات.

مثقفون متطوعون

وحين سألنا مفتش الآثار السيد عبد الأمير عن تعاون أبناء الناصرية في الحفاظ على الآثار قال:

- إن مثقفي الناصرية وأدباءها وقفوا بجانبنا ودعموا عملنا في مجال حماية الآثار، إذ نظموا التظاهرات لإرغام القوات المتحالفة على الإسهام في حماية المواقع الأثرية ومنهم من عمل معنا متطوعاً كالمترجم أحمد الباقري وأمير دوشي.

وقد توجهنا إلى الأستاذ أمير دوشي ليحكي لنا ما حصل في تلك الفترة فقال:

- إن المواقع الأثرية، وخصوصاً في محافظة ذي قار، مستهدفة منذ زمن الطاغية، فقد كانت هناك شبكة منظمة يديرها أزلام النظام وعلى رأسهم زوج أخت صدام (رشد ياسين) وعدي وقد تغشى الأمر بعد سقوط صدام نتيجة الفراغ الأمني ولعدم قيام أية جهة بسد الفراغ. فاستعانت مفتشية الآثار بقوات التحالف وقد اتخذت هذه القوات من المتحف مقراً لها.

وقد تطوعت للعمل مع مفتشية الآثار فذهبت معهم إلى قوات المارينز وعرضت عليهم أمر توفير الحماية للمواقع الأثرية، واستمر العمل طوال شهر نيسان وبعد ذلك تمت الموافقة وبدأنا أول الأمر بكتابة المنشورات والقائها من الطائرات.. وكانت هذه المنشورات تدعو المواطنين للابتعاد وعدم العبث بالمواقع. ثم كونا وبالتنسيق مع قوات التحالف غرفة عمليات في مدينة الشطرة، لكونها قريبة من المواقع الأثرية المنهوبة، وسيرنا عدة دوريات وضبطنا عدداً كبيراً من القطع الأثرية في موقع جوخة وأم العقارب. وتوالت الدوريات الأمريكية حتى قدوم الفريق الإيطالي لكلف بحماية الآثار في شهر آب، إذ جرى التنسيق مع هذا الفريق لتوفير الحماية واحتجاز المتجاوزين على المواقع الأثرية وتسليمهم إلى الشرطة المحلية. وقد استخدم هذا الفريق الطائرات المروحية لحماية المواقع وقد عمل معنا منذ البداية الأستاذ أحمد الباقري.

المارينز في المتحف

أما حكاية متحف الناصرية فتروي لنا مديرته السيدة أحلام جبار علي قائلة:

- إن المتحف لم يتعرض للنهب لأن كادر القشلية كان مواظباً على الدوام فيه، ومصمماً على حمايته والدفاع عنه، لكن ما حدث هو احتياج قوات المارينز في // للمتحف بعد أن حطموا السياج بالدرعات والدبابات واقتحموا الأبواب بشكل هجومي. وقد خرج الكادر من المتحف بعد هذه المداهمة المريعة. وقد كنت أسكن يومها في ملحق تابع للمتحف أنا وعائلتي، فتركنا المكان واستولى المارينز على أغراض منزلي ولم تتعامل قوات المارينز مع المتحف كمتحف وإنما كهدف عسكري. فحطموا الأبواب واقتحموا المكتبة التي تضم أكثر من كتاب ومصدر، وبعثروا محتوياتها وعرضوا الوثائق والملفات المهمة للتلف. وقد تعاملوا مع المتحف ببشاعة. أما القوات الإيطالية التي تسلمت المتحف فيما بعد فقد اتصلت بالمفتشية ووثقت ما كان موجوداً فيها. ورزمت الكتب وصورتها وحافظت على ما تبقى منها. ولم نتمكن من جرد المكتبة بعد رحيل المارينز، لكننا صورنا التماثيل الحقيقية الكبيرة وهي لقادة رومان مثبتة بقواعد. وكذلك (حرة الحبوب) الأصلية وهيكلاً عظيماً وهذه القطع الأثرية هي كل ما تبقى من المتحف، إذ إن موجودات المتحف أرسلت إلى بغداد عام ، ولم نعرف مصيرها لحد الآن هل سرقت مثلما سرقت متاحف بغداد؟

آثار سامراء ميداناً للمعارك

آثاريون ينتظرون البحث عن مدينة عباسية لم تكتشف بعد!

اختفاء المليارات التي جمعت لإعادة بناء جامع الملوية.. والخطط تتعارض مع التصميم الأساس

صلاح الدين/ عبد الزهرة المنشداوي

كان ثمة احتمال في أن إحدى المروحيات المشاركة في المعركة الدائرة بين عدد من المهاجمين الكامنين لخط سير الطيران بين مدينتي سامراء وتكريت سوف تصطدم بطريقة أو بأخرى بالمئذنة الملوية الشهيرة. بينما كان قصر العاشق يلوح بعيداً على الضفة الأخرى يرقب ما يجري من قتال محتدم بين الفريقين.

وتجمع أهالي المدينة يرقبون ذلك المشهد. ينازعهم حب الفضول والابتعاد عن نيران متبادلة قد تخطئ أهدافها ويحدث مالا تحمد عقباه.

مع كل ذلك كانت مهمتي محددة ولا سبيل لي سوى انجازها والانتظار، فالقدر مضت نحو ساعتين والأمور تزداد سوءاً، إذ ارتدها تحرك عدد من المدرعات الأمريكية جاءت لتشترك هي الأخرى في القتال.

كانت وجهتي مديرية آثار سامراء من أجل أن أجد من يستطيع إطلاعي على مصير هذه الآثار الممتدة قرابة كم مابين سامراء وقضاء الدور في الشمال.

كانت لدي بعض المعلومات عمن سوف أجد ضالتي لديه، إنه نجاح حافظ حسين الآثاري المتخصص والمسؤول عن أعمال الصيانة في هذه المدينة وبالفعل تركت كل ما يجري ورائي واتجهت صوب دائرة صيانة الآثار قبالة المئذنة. وحين سألت أحدهم أشار نحو رجل يرتدي تلة صغيرة ويرقب هو الآخر هذه المعركة أيضاً.

ألقيت التحية على مجموعة من الحيطين به، وأعلمتهم بمهمتي فالتقت محيياً وقال، بأن ما يحدث صار من المألوف، ومن الممكن إجابتي عن أي أسئلة تخص الآثار ها هنا ولكن المشكلة هي الخوف من صاروخ أو قذيفة مباغتة قد تنطلق نحونا بقصد أو غير قصد خاصة أن أبنية المديرية قد تكون مثار شك للطيارين، لكونها معزولة عن أنحاء المدينة وتبدو وكأنها مأوى من الأماكن التي يستخدمها الذين يتعرضون لقوات الاحتلال. ولكنه آخر الأمر استقر رأيه على إجراء الحديث في مكتبه برغم الأخطار المحدقة.

بادرته بالسؤال عن انعكاس ما يجري على عمله فقال:

ترى الآن بعينيك أن ميدان المعركة هو وسط الآثار، وكذلك أن بعض المواقع الأثرية قد تخذ من قبل قوات الاحتلال مقراً لآلياتها ومدرعاتها ولا سبيل لنا سوى القول بأن وجود الدبابات والآليات الضخمة هذه سوف يكون له أثر مدمر على أعمال الصيانة والمواقع، فهناك جدران كاملة من الآثار قد تداعت، ومضمار لخيل موقع أثري مهم يعود للعصر العباسي الأول هو الآن ساحة تجمع آليات الحرب لقوات الاحتلال، وقصر الخلافة دخلته هذه الدبابات، بينما اتخذ "مدق الطبل" وهو أحد القصور الأثرية الشهيرة ساحة للرمي وتصور ما سوف يحدث لأبنية قديمة مامثلها الطين؟

لقد طالت أحدى القذائف أقواس البركة فهدمتها.

من اجل اعلام سياحي

وطلبت منه الحديث عن التحولات التي مرت بها آثار مدينة سامراء الاسلامية لشاخصة في العهد العباسي، وعن جهود مفتشية آثار صلاح الدين في المحافظة على ما تبقى منها فقال:

في بداية الثمانينات كان هناك الكثير من الخطط الموضوعة لصيانة آثار سامراء خاصة، أسهم فيها مختصون وقوبلت أول الأمر بالترحاب. ولكن ما إن بدأت حرب الخليج الثانية حتى أهمل كل شيء، شأنه شأن مرافق الحياة الأخرى في العراق. لدرجة أن بعض المواقع الأثرية استعلت من قبل الفلاحين لزراعتها بالتحاصيل. ولم تجد اعتراضاتنا وجهات نظرنا التي أبديناها للسلطة من أجل حماية هذه المواقع والعبث بها، وجمدت كل المشاريع والخطط التي عملنا على أعدادها من قبل بشأن ما يهم الآثار من صيانة أو كشوفات كنا ننوي القيام بها.

ومع كل ذلك فإننا لم نفقد الأمل في أن هناك ما يمكن عمله في هذا الجانب لاظهار آثارنا الى العالم، وجعلها قبلة للسياح والمهتمين. وذلك ما يجب أن تكون عليه لو إننا مكنا من الحصول على التغطية الإعلامية الخاصة وذلك المترس في هذا النوع من الأعلام الذي نحن بأشد الحاجة له، واعتقد أن الوقت مؤات الآن لنجعل من آثارنا رافداً يمكن أن يسهم في الاقتصاد الوطني.

نبش وتهريب

وقال السيد حافظ حسين:

إن ما يقلقنا في الوقت الحاضر هو رصدنا عدة حفريات غير مشروعة تركزت في منطقة "قصر تكولتي" يقوم بها عراقيون. وكذلك في منطقة الاسحاقي حيث وجدنا آثار نبش عديدة يقوم بها أشخاص ليس لديهم دراية بأصول طريقة الكشوفات الأثرية. وأعتقد أن البعض منهم كان من الذين عمل لدينا في الحفريات في أوقات سابقة، وترك العمل فيما بعد واستعان ببعض المعلومات القليلة التي حصل عليها في عمليات البحث عن الآثار، فراح يجرب حظه في العثور على ما يمكن أن يجلب له المال. خاصة أننا قد وجدنا الكثير من القطع الأثرية متداولة بين من اهتمنا هذه التجارة غير المشروعة. التي كانت قد استشرت أبان النظام البائد.

خلافات حول تل العبيد

وعما إذا كانت ثمة عصابات لتهريب الآثار في سامراء قال، على وجه التحديد لا أظن بأنه تم استخراج القطع أثرية منها وبيعها عن طريق شبكات التهريب ولكن يساورنا الشك بأن هناك ما تم استخراجه من آثار في منطقة تل العبيد الذي بدأت فيه التنقيبات عام-.

وعلى ذكر تل العبيد لا يفوتنا القول بأن عاديته كانت مثار خلاف بين علماء الآثار حيث هناك من يرى بأنه يعود لحضارة سحيقة ظهرت قبل- الاف سنة، أي قبل حضارة الجنوب. في حين يرى فريق آخر أنه يعود إلى حضارة السومريين. وهو يقع قرب قضاء الشرقاط. ولكن في كل الأحوال فقد تم التوصل الى تحديد عاديته من خلال اللقى والقطع الأثرية إلى الحضارة السومرية. وأكدت ذلك التنقيبات التي جرت في منطقة اليوجلي القريبة من تل العبيد. كل ذلك جعل من هذا الموقع محل اهتمام وتركيز من قبل تجار الآثار غير الشرعيين الذين استدللنا عليهم من آثار النبش غير الشرعية. كما ذكرت. ونخشى أن يكون تم تهريب الكثير من قطع الآثار الى الدول المجاورة بواسطة شبكات تهريب الآثار، بعد أن ساعدت الأوضاع الأخيرة في إطلاق يدهم بالسرقة والاستيلاء على ما وجدوه دون أدنى تحفظ أو خوف من المسألة القانونية.

مدينة عباسية غير مكتشفة

وعما يخفيه تراب الجانب فوق الأطلال باستداد الأفق قال،

نحن نراقب الآن هدوء الأوضاع ونستبشر الأمن والاستقرار لبدء عملية التنقيب في تلول "عثرة" القريبة من الدجيل، حيث من المحتمل أن تكون هذه التلول آثاراً لمدينة عباسية أخرى لم يكشف عنها التراب بعد، ووجود قوات الاحتلال بالقرب منها منعنا من زيارتها وإجراء الكشوفات الأولية من أجل وضع برنامج لبدء العمل. ومن المحتمل أيضاً أن عمليات النبش غير الشرعية قد طالتها أيضاً ولا نستبعد أن عمليات النبش فيها تدار من قبل جهات أجنبية.

جمع الملوية جدل وآراء وصيانة

كان يهمني أن أسأل السيد حافظ حسن مدير مفتشية محافظة صلاح الدين عن الجامع الكبير في سامراء ومئذنته الحلزونية، ذلك الأثر الفريد من نوعه والعلم المعماري المتميز، الذي تركته الدولة الإسلامية العباسية، ويمكن أن يعطي الصورة الفنية الجيدة للعقلية العلمية الهندسية التي كانت لدى أجدادنا. ماذا يشأن ذلك خاصة ان النظام جمع من الوطنيين أموالاً الطائلة بدعوى صيانته. هل لك أن تتحدث عن ذلك؟ برغم أن وقع القذائف بدأ وكأنه أخذ يقترب منا، ولكن مع ذلك لن ندعه يقطع لنا حديثاً ضحك الآثاري الخضرم وقال،

ان مسألة إحياء أو صيانة الجامع الكبير ومئذنته قد رصد له مبالغ ضخمة، كما نشرت، تعت جبايتها من الوطنيين. وهي أموال ليس لنا فكرة إلى أين ذهبت! ولكن مع ذلك فإن المخططات والمشاريع التي وضعت تتعارض تماماً مع التصميم الأساسي بالرغم من تبنيها من قبل السلطة البائدة. أن هذا الجامع الضخم الذي بناه الخليفة العباسي المعتصم بالله سنة ه ولذي أعاد بناءه الخليفة المتوكل مضيفاً إليه المئذنة المعروفة "بالملوية" نصب عنصر الاختلاف فيه بين الأثاريين المختصين حول هيئة السقف الذي كان يعلوه. فمنهم من رأى أن المفروض أن ترعى من قبل هيئة سياحية وإعلامية ولكن مع الأسف توقف العمل فيها منذ ما يقارب ثلاثة عشر عاماً، ولا يبقى لنا سوى القول أننا نأمل في الالتفات إليها ثانية بعد أن أهملت.